القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

(تابع لما في الجزء السابق)

واما الافعال العقلية فلا يتأتى لنا الحكم بوجود مصدرها في الحيوان الا بمقدار ما يبدو لنا من ظواهرها . فالشَبَنْزَى (الشمبانزي) في افريقيا والاوران في الهند الشرقية على تباين محتدهما يبنيان مساطب يتوسدانها ليلاً والاول قد يتدثر بما تصل يدهُ اليهِ من الاكياس وما ماثلها اتقاءً للبرد وبذلك يماثلان الانسان في اتخاذ البناء والكسوة . ويؤثر عن قردٍ في رأس الرجاء الصالح انهُ كان قد غاظهُ احد ضباط العسكرية تكراراً فاغتنم ذات يوم فرصة مرور ذلك الضابط بلباس الاستعراض وخالما رآهُ مقبلاً عليهِ عمد الى ماءٍ على مقربةٍ منهُ فصبّ شيئاً منهُ في حفرةٍ وعجن كتلةً من الطين ثم رمى بها عليهِ فجعلهُ عبرةً للناظرين . وقد شوهد فيل ينفخ وراء غرض على بعدٍ منهُ فادناهُ اليهِ مقذوفاً بمجرى الهواء . ورؤي دبٌّ محبوس في قفصٍ في مدينة ڤينّا يحدث مجرى مائياً في ساقيةٍ كان قفصهُ موضوعاً على شاطئها فاخذ يضرب الماء بيدهِ ويحولهُ الى جهتهِ ليحمل اليهِ مجرى الماء كسرةً من الخبز كانت طافيةً على بعدٍ منهُ . وافيال الهند تتناول اغصاناً من الشجر تطرد بها الذباب وتستعملها بمثابة المروحة عندنا وكثيراً ما تتلذذ باستعمالها حتى يصعب نزعها منها . وللكلاب نوادر غريبة وقصص عجيبة تدل على مالها من النباهة والحذق والزكن ومن غريب ما يروى عن احد كلاب الصعيد انهُ حاول مرةً حمل بطتين كبيرتين كان قد رماهما صاحبهُ

بطلقٍ ناري وكانت احداهما لا تزال حيّة فلما لم يمكنهُ حملهما معاً اجهز على البطة الحيّة وتركها في الارض ثم عاد فاخذها بعد ما اوصل الاولى الى صاحبهِ

واذا نظرنا الى جوارح الطير نرى ان النسر يعلم فراخهُ الطيران والصقر يمرّن صغارهُ على تقدير المسافات باطلاقها ورآء جرذانٍ ميتة يقذفها لها من حالقٍ حتى اذا مهرت في ذلك درّبها على صيد العصافير الحية . ولو قصدنا ايراد كل ما يؤثر عن الحيوانات الدنيا من الافعال الدالة على ادراكها ونباهتها لملأنا المجلدات الضخمة . وحسبنا من ذلك ان النمل على صغر جثتهِ نجد عندهُ من النباهة وقوة الفهم ما يجعلهُ من اسمى الكائنات ادراكاً اذا اعتُبر في ذلك نسبة ثقل الدماغ الى سعة العقل . فالنمل يتفاهم ويتعاضد على العمل ويتعارف بعد اشهر ويتعاطف ويبني قرًى حسنة الوضع محكمة الصنع يحفظها دائماً نظيفةً ويسد ابوابها في المساء بعد ما يضع عليها الحراس ويفتح الاسراب ويمهد الطرق تحت الانهر ويكوّن جسوراً وقتية فوقها باصطفاف افرادهِ بعضها بجانب بعض طافيةً على وجه الماء ويدّخر مؤونةً لمجتمعهِ ويوسع ابواب قراهُ لادخال الذخائر الضخمة الحجم ثم يبنيها ثانيةً فيعيدها الى سعتها الاصلية ويخزن الحبوب الى حين الحاجة بعد ان يقضم اطرافها ليمنع تفريخها واذا ترطبت يخرجها وينشرها الى ان تجف ويستخدم نوعاً من الحشرات بمثابة البقر الحلوبة عند الانسان ويشن الغارة بتمام الانتظام ويبذل حياتهُ لخير مجتمعهِ ويأسر العبيد وينقل بيظهُ الى ادفأ مكانٍ في القرية ليسرع نقفهُ الى آخر ما يأتيهِ من غرائب الافعال وعجائب الاعمال

هذا واني اراني مضطرًّا لضيق المقام الى ترك الكلام على مظاهر التعقل

في النحل وكلب المآء والفيل والفرس وغيرها وسرد ما يؤثر عنها من التحوط والنجابة والفهم والامانة وغير ذلك مما يقضي بالعجب العجاب فاكتفي من هذا البحث بالقدر الذي اوردتهُ وهو كافٍ للحكم

واما القوى الادبية فلما كانت مرتبطة كل الارتباط بالقوى العقلية وكانت من اهمّ المميزات بين الانسان والحيوان لم يكن لنا بدٌّ من البحث فيها وايراد ظواهرها وسيتضح للقارئ ان آثار الارتقآء الادبي جلية الظهور في اخلاق الحيوانات الدنيا مما يدلنا على تدرج الارتقآء العقلي والادبي معاً. فالحاسة الادبية — او الضمير — من اعظم الفوارق بين الانسان والحيوان وهي تنمو بنمو القوى العقلية فكلما ارتقى الانسان عقلاً ارتقت معهُ الحاسة الادبية لاتصالها بالروابط الاجتماعية من مثل الغريزة الاجتماعية (او الميل الى الاجتماع) والمحبة الوالدية وما شاكلهما . فالغريزة الاجتماعية من شأنها ان تبعث المجتمع على السرور بالاجتماع وبالتالي على التعاطف . وليس بخافٍ ان الآداب اعتبارية او نسبيّة وهي عبارة عن عمل « الواجب » ولذلك تختلف باختلاف اعتبار عمل الواجب . فإناث النحل العاملة مثلاً تقتل الذكور لانها لا تجني عسلاً مثلها وتستحيي الاناث لانها هي التي تقوم بمقتضيات هيئتها الاجتماعية فلو كانت احوالنا مماثلة بكليتها لاحوال النحل ربما كنا نعتبر القتل من واجباتنا مثلها . ولما كان المجتمع الحيواني كالمجتمع الانساني لا يقوم الا بالتعاون والتعاضد كان الميل في الحيوان الى التعاضد غريزيًّا مثلهُ في الانسان لرسوخهِ فيهِ جرياً على قاعدة الارث . فالقرود والذئاب والزيغان والقطا وغيرها تعيش اسراباً وتتعاون في تحصيل رزقها .

وقد يتألف بعض افراد المجتمع الواحد من الحيوان تألفاً يكون من ورآء تفرقهِ وحشة اليمة تفضي الى الشقآء . وكل من عني بملاحظة الحيوانات الاليفة يعلم ما تظهرهُ الخيل والكلاب من الكآبة والانكسار عند فصل بعضها عن بعض ومن الأُنس والابتهاج عند عودها الى الاجتماع حتى لقد يعاف بعض الحيوانات الطعام حزناً على فراق أليفهِ فيقضي شهيد امانتهِ وحسرتهِ — فهل يوجد كثيرون من الحيوانات الناطقة يموتون شهدآء الامانة — . وجميع قطعان الحيوان واسراب الطير تبدي من التحوط واليقظة ما هو جدير بالاستغراب . فالارانب والاراوي تضرب الارض بقوائمها تنبيهاً للقطيع عند دنو الخطر . وبعض ذوات الاثدي وكثير من الطير تقيم حراساً تتكفل بوقاية السرب من الغيلة . وقواد القرود تفوه بعلامات الخطر والسلم في حينها فتقي جماعاتها من مفاجأة العدو . وغالب الطير يصوت عند نهوضهِ من مجثمهِ اذا فاجأهُ خطر فينبه بعضهُ بعضاً للفرار من وجههِ

(ستأتي البقية)

عمدة الصفوة في حلّ القهوة

(تابع لما في الجزء السابق)

واما اول ظهورها بمصر فقال العلامة ابن عبد الغفار انها ظهرت في حارة الجامع الازهر في العشر الاول من هذا القرن وكانت تُشرَب في نفس الجامع برواق اليمن يشربها فيهِ اليمانيون ومن يسكن في رواقهم من اهل الحرمين وكان المستعمل لها الفقرآء المشتغلون في الرواتب من الأذكار والمديح